

الوطن تفتح ملف الصوفية في الكويت

كتب أحمد زكريا:

أكد وزير الدولة السابق لشؤون مجلس الوزراء يوسف هاشم الرفاعي ان الحركات الاسلامية المتطرفة غارت من الصوفية لان الصوفيين لم يغيروا منهجهم، موضحا ان هذه الحركات تخاف ان تقول للناس انها فشلت وان منهجها خاطئ. وشدد الرفاعي في لقاء خاص مع «الوطن» على ان الصوفية هي التي نشرت الاسلام في افريقيا وكثير من الدول، موضحا ان الجيوش الاسلامية لم تصل الى نيجيريا وكينيا واوغندا في حين ان الطرق الصوفية هي التي نشرت الاسلام في تلك البلاد. وبيّن الرفاعي ان السلفيين يسدون ابواب الخير على الناس حيث انهم يبدعون ولا يقدمون البديل. وشدد الرفاعي على ان محاربة الاناشيد النبوية ستجعل الناس تتجه نحو مشاهدة الفيديو كليب، موضحا ان النفس تحب ان ترتاح وتطرب وتسلو. و أكد الرفاعي ان النبي محمد «صلى الله عليه وسلم» هو الصوفي الاول، مشيرا الى ان من يحارب التصوف فانما يحارب مرتبة الاحسان. واعتبر الرفاعي ان ما يثيره البعض حول مبدأ وحدة الوجود من باب الترف الفكري، مؤكدا ان السلفيين يفتشون في الدفاتر القديمة، وفيما يلي النص الكامل للقاء:

من الصوفي؟

كيف نطلق على شخص ما إنه صوفي؟

- لا يوجد شيء اسمه العقيدة الصوفية او المذهب الصوفي وانما ما حدث ان المسلمين يحبون الترقى في المسائل الروحية للوصول الى مرتبة المراقبة، ولذلك دائما ما يردد المتصوفة عبارة «الله خالقي.. الله ناظري.. الله مطلع علي» المسلم يظل يترقى في حياته عن طريق العبادات الى ان يصل الى مرحلة يشعر عندها انه بحاجة الى ان يجالس الصالحين ويحضر مجالس الذكر ويزور الاموات من الصالحين، عند هذه المرحلة نستطيع ان نقول انه اقبل على الله، سلوك الصوفيين هو سلوك المسلمين فليس لديهم مساجد خاصة بهم او اذكار خاصة بهم بل لديهم زيادة في عدد الاذكار.

كل ما لدى الصوفية زيادة في الأوراد فهم يريدون ان يزيدوا من عباداتهم، فالانسان الصوفي يريد ان يقرأ حزب النصر إذا كان مظلوما وان يقرأ حزب الفتح إذا تأخر عليه الفتح وان يقرأ حزب الفرج إذا اتته مصيبة، الصالحون هم من ألقوا هذه الاحزاب كحزب البر وحزب البحر و حزب التحفة وحزب الغنية لمن يريد ان يستزيد. المتصوفة اناس زهاد يبعون الاستزادة في العبادة للترقى الروحي من يريد ان يعرف من هم الصوفية فلينظر الى صلحاء الناس واتقيائهم.

نشأة الصوفية

متى نشأت الصوفية؟

- الصوفية تعود الى زمن النبي «صلى الله عليه وسلم» الذي أمر ان يقوم الليل الا قليلا وبذلك فان المسلك الصوفي نشأ مع النبي «صلى الله عليه وسلم» الذي يعتبر الصوفي الاول ومثله كان الصحابة.

اما بالنسبة للمسمى فعلى عهد النبي «صلى الله عليه وسلم» كان هناك الصحابة ثم أتى

التابعون ثم تابعو التابعين، و بعد ذلك اقترح البعض مسمى الزهاد و لكن تم الاتفاق على مصطلح الصوفية، واختلف في اصل التسمية فمنهم من قال نسبة الى اهل الصفة ومنهم من قال نسبة الى حبهم للوقوف في الصف الاول بالصلاة واخرون عزوا المصطلح الى الصفاء.

طرق صوفية متنوعة وليست مختلفة

ألا يوحي مصطلح الطرق الصوفية بوجود خلاف بين هذه الطرق؟
- لا بل هو من باب التنوع والتعدد، وهذا أشبه بتعدد المذاهب الفقهية. الفقهاء اختلفوا حتى في تفسير النص القرآني حسب ادلتهم وفهمهم.
الطرق الصوفية اتفقت على وجود مرتبة الإحسان التي يجب يتنافس فيها الناس، وعندما ننظر نجد ان السيد احمد الرفاعي له طريقتة والشيخ عبدالقادر الجيلاني له منهجه، فهناك من ركز على زيادة الأذكار وهناك من نظر الى زيادة الأعمال الخيرية وهناك من ارتأى تعذيب النفس والتشديد عليها. تعدد الفوارق ناتج عن التنافس في الوصول لأرقى السبل لمنزله الإحسان. الاختلاف بين الطرق الصوفية كان في كيفية توصيل المريء الى الله وبالتالي فالهدف واحد.

غيره من الصوفية

هل صحيح ان الصوفية تحقق مصالح الغرب وأن الولايات المتحدة الأمريكية تطلب من الحكومات العربية دعم الطرق الصوفية؟
- هذا ادعاء باطل ناتج من الغيرة والحسد. الحركات الاسلامية المتطرفة غارت من الصوفية لأن الصوفيين لم يغيروا منهجهم فهم المقبلون على الله والتاركين الدنيا وراء ظهورهم ولكنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وبيوتهم مفتوحة للفقير والسائل والمستجير.
لم ينشر الاسلام في افريقيا وكثير من الدول غير الصوفية. لم تصل الجيوش الاسلامية الى نيجيريا وكينيا وأوغندا وإنما الذي نشر الاسلام في هذه الدول هي الطرق الصوفية كالتيجانية والشاذلية والرفاعية.
التصوف صاحب الفضل في نشر الاسلام في كثير من بقاع الأرض.
عندما قامت الحركات الاسلامية المتطرفة بأعمال استوجبت ان تحاربها الدول الغربية بسببها كما حدث في احداث الحادي عشر من سبتمبر.
هذه الحركات تعرضت لمراقبة وملاحقة وتضييق فغارت لأن الصوفية لم يشملها هذا التضييق وتساءلوا لماذا الصوفية لم يمسه سوء؟ لماذا الحكومات لا تخاف من المتصوفة الذين يستطيعون دخول اي بلد.
تخاف هذه الحركات ان تقول للناس انها فشلت وان منهجها خاطئ فيدعون ان امريكا راضية عن الصوفية. هذه الاشاعة تبرير لتعثر هذه الحركات.
المنهج الصوفي منهج سلام وعدالة فالصوفي يركز على تحبيب غير المسلم في اخلاق المسلم حتى يعتنق الاسلام اما الحركات الاسلامية المتطرفة فتلجأ الى القوة والقهر واستخدام التكفير والتفسيق والتفجير.
المتصوفة منذ زمن النبي (صلى الله عليه وسلم) وهم رحمة وسكينة.
بالنسبة لإدعاء تمويل الصوفية مادياً لم نجد ان احد المتصوفة يتقاضى من شيخه راتباً شهرياً بل ان المتصوفة هم اهل الكفاف. في طول مصر وعرضها المملوءة بالتصوف لم نسمع ان احد المتصوفة قال اذا لم تعطوني اموالاً فلن اصبح متصوفاً.

الغيرة مكنها ان مواكب واحتفالات الطرق الصوفية مازالت قائمة، وهذه الغيرة مخالفة للشريعة الاسلامية لانها تتضمن ابداء للمتصوفة والمولى سبحانه وتعالى اخبرنا ان من اذى له ولياً فقد آذنه بالحرب. من يحارب التصوف انما يحارب مرتبة الاحسان ومحاربة المتصوفة تعني قطع ذكر الله سبحانه وتعالى.

السلفيون يسدون أبواب الخير

هل الصوفية غالت في الترويح عن النفس؟
- النفس تحب ان ترتاح وتطرب وتسلو ولذلك هناك ميل نحو الأناشيد النبوية والأصوات الجميلة، ومحاربة هذه الأمور سيجعل الناس تتجه للفيديو كليب.
يا دعاة السلفية: هل يسركم ان تجدوا ذلك الذي كان يحضر مجالس الذكر وبدعتموه ولم تقدموا البديل ان يتجه للفيديو كليب.
السلفيون يسدون ابواب الخير على هؤلاء الناس الذين ارتكبوا ذنوباً بالنهار ثم يأتون ليلاً ليستغفروا ويصلوا على النبي «صلى الله عليه وسلم».
شيوخ الصوفية تفرغوا لخدمة الخلق، فنحن لدينا في ديوانيتنا جلستان بالاسبوع ونستقبل اصحاب الحاجات والاستفسارات.
قد يأتي الخائف من الوسواس او الجبن فأنمنه، وقد يأتي من لديه استشارة وقد يأتي المظلوم الذي يريد النصرة.
هل صحيح ان حالة الهدنة بين الحكومات العربية والطرق الصوفية مردها ان المتصوفة يبتعدون عن السياسة؟

- اريد من اصحاب هذا الادعاء ان يدلوني على أعمالهم وجهادهم، خذ مثلاً منشورات جمعية احياء التراث ذات التوجه السلفي اين تلك المنشورات من المتعريات في الشوارع؟ اين الكتابات التي تحض على الفضيلة؟ دروسهم كلها عن الصوفية والبدع، اين نواب السلفية من اولئك المتعريات؟ لقد تم الاعلان مؤخراً عن تجمع الفضيلة وأنا اتساءل اين كنتم منذ ثلاثين عاماً؟ وما هي جهودكم لنشر الفضيلة؟ نشر الفضيلة يكون بمحاربة الفقر، اقول للنائب الكويتي الذي دافع عن الكويتيين.. اين أنت من بقية اخوانك المسلمين؟ ألسنت مسؤولاً عنهم؟ البعض يتصور انه عندما يطيل اللحية ويقصر الثياب فانه سيصبح شيخ الإسلام.

هناك هجوم سلفي على الصوفية بسبب بعض الافكار مثل وحدة الوجود.. ما رداك على ذلك؟
- السلفيون يبحثون في الدفاتر القديمة، وحدة الوجود تكلم عنها بن عربي وهو ليس بصاحب طريقة، بن عربي احد فلاسفة التصوف وليس شيخ طريقة، لا توجد زوايا تحمل اسمه كزوايا القادرية والرفاعية، وتكلمت عن ذلك في كتاب شبهات حول التصوف.
يبدو ان بن عربي اخذ الحديث عن وحدة الوجود من فلاسفة اليونان والحديث عن ذلك نوع من الترف العقلي لانه لا يهتم العامل والمسكين والفقير لانها فلسفة فلم نخاف منها؟
الناس بين فريقين احدهما يقول ان هذه الفكرة دست على بن عربي وفريق آخر يقول بأنه ذكرها تأثراً بالفلسفة اليونانية.

التصوف به مدرستان: الاولى مدرسة سلوكية ايمانية ملتزمة بالكتاب والسنة كالترياق الشاذلية والرفاعية وغيرهما والمدرسة الثانية مدرسة فلسفية كالشيخ بن عربي وبن سبعين اللذين نعتبرهما فلاسفة. مسألة مناقشة وحدة الوجود لا تعدو كونها ترفاً فكرياً.
واريد ان اؤكد ان المدرسة السلوكية في الصوفية تتبرأ من فكرة وحدة الوجود، فنجد ان سيدنا أحمد الرفاعي يقول انه يكفر من يقول بوحدة الوجود اذا قصد به ان الخالق من جنس المخلوق.

الممارسات الرفاعية

هل مازالت الممارسات المعروفة عن الطريقة الرفاعية كضرب السلاح واستخدام النار وغيرهما موجودة الى الآن؟

- هذه الممارسات لم تكن على عهد سيدي احمد الرفاعي رضي الله عنه وانما ظهرت في عهد خلفائه بسبب زحف التتار على بغداد، وكان التتار قوم همج وبربر حيث كانوا يلقون المسلمين في النار ويقتلونهم بالسيوف، ولم يكن ليجدي معهم المنطق او النقاش فارتأى اتباع السيد احمد الرفاعي ان يبطلوا سلاحهم عن طريق مسك النار وضرب السلاح.

وهذا جعل الكثير من التتار يتحولون الى الاسلام على يد خلفاء سيدي احمد الرفاعي، هذه الكرامات يجب ألا تستعمل الا عند التحدي، اتذكر ان احد الخبراء الروس الذين كانوا متواجدين باحدى المناطق السورية التي كانت تعج باتباع الطريقة الرفاعية لم يصدق ان الرفاعية لديهم مقدرة استخدام النار وضرب السلاح، وعندما اتوا بشيخ الطريقة الرفاعية هناك اشترط ان يدخل هؤلاء الروس في الاسلام في حال نجاحه في القيام باحدى الكرامات، وطلب من احدهم تصويب الرصاص الى قلبه فلم يضره شيئاً.

الوهابية يصفونها بالدجل وأنا اقول لهم فلتفعلوا مثلها ولكن يعجزون عن فعل مثلها، الكرامات امر خارق للعادة يجريه الله على يد من يشاء.

سأضرب لك مثلاً آخر السفارة الروسية في مصر على عهد الرئيس جمال عبدالناصر عانت من وجود حية فشل في اخراجها الدفاع المدني وعندما أتوا بأحد الفلاحين الرفاعية نجح في اخراجها.

الاحتفالات الدينية

ما المناسبات التي تحتفل بها؟

- نحتفل بالمولد النبوي الشريف وذكرى الاسراء والمعراج والنصف من شعبان وذكرى معركة بدر.

الرفاعي شارحا المصطلحات الصوفية

- ١- الاحوال: المراد عندما يسير في طريقه الى الله فتتغير عليه الاحوال فانت عندما تبتسم نقول انك في حالة البسط وعندما تغضب نقول انك في حالة الغضب او الجلال كل البشر لهم احوال جمال وجلال فالليل جلال والنهار جمال المناظر الحسنة جمال والجنائز جلال وهكذا.
- ٢- المقام: ان تستقر على حالة معينة.
- ٣- القطب الانسان ذو المكانة الذي يجذب اليه الناس فالنبي «صلى الله عليه وسلم» كان قطب زمانه.
- ٤- الفناء: التخلص من الصفات الذميمة تهيؤوا لاستقبال الصفات الحميدة يجب ان تدخل مرحلة الفناء حتى تكون من عباد الله الصالحين.
- ٥- الكرامات: ان يجري الله على يدك امراً خارقاً للعادة كمن يمشي على الماء او يطير في الهواء وهذه اشياء ضد الناموس الطبيعي.

السيرة الذاتية للسيد يوسف السيد هاشم الرفاعي

- ولد في الكويت سنة ١٩٣٢م.
- حصل على الشهادة المتوسطة سنة ١٩٤٧م.
- حصل على الشهادة الثانوية سنة ١٩٥٦م.
- تخرج من كلية الآداب «قسم التاريخ - جامعة الكويت» سنة ١٩٧٠م.
- انتخب عضواً في مجلس الأمة سنة ١٩٦٣ عن دائرة شرق ومن ثم تم انتخابه أميناً لسر المجلس.
- عين وزيراً للبريد والبرق والمواصلات سنة ١٩٦٤.
- عين وزيراً للدولة لشؤون مجلس الوزراء ورئيساً للمجلس البلدي ورئيساً لمجلس التخطيط من سنة ١٩٦٥ حتى سنة ١٩٧٠.
- استمر عضواً في مجلس الأمة الكويتي بعد ترك الوزارة من سنة ١٩٧٠ حتى سنة ١٩٧٤.
- عضو المكتب التنفيذي لمؤتمر العالم الإسلامي باكرجي ثم أصبح نائب رئيس المؤتمر حتى نهاية ١٩٩٢.
- أسس معهداً دينياً شرعياً لتدريس العلوم العربية والشرعية بمنطقة المنقف.
- رئيس لجنة الأقليات المسلمة في مؤتمر العالم الإسلامي في باكستان.
- أسس الاتحاد العالمي الإسلامي للدعوة والإعلام بـلاهور مع عدد من الشخصيات الإسلامية.
- أسس الجمعية الكويتية لمساعدة مسلمي بنجلاديش.
- أسس مجلة البلاغ.

تاريخ النشر: الثلاثاء ٢٣/١/٢٠٠٧